الأحنفُ بن قيس التميميّ

فاتح قاشان وخراسان

تـأليف

اللواء الركن محمود شيت خطاب

جمع وترتيب : المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد 11 – ص 33 - 74

1384هـ - 1964م

الأحنف بن قيس التميمي

فاتح قاشان[1] وخراسان[2]

بقلم اللواء الركن محمود شيت خطاب

« هو سيد أهل المشرق ، المسمى بغير اسمه »

« عمر بن الخطاب »

نسبه وأهله

هو أبو بحر الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة التميمي[3] ، واسمه الضحاك وقيل : صخر[4] وأمه حبة بنت عمرو بن قرط الباهلية[5] كان أخوها الأخطل

(١) قاشان : مدينة قرب أصبهان تذكر مع (قم) ، وبين قاشان وقم اثنا عشر فرسخاً ، أنظر معجم البلدان (١٣/٧) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٣٢)

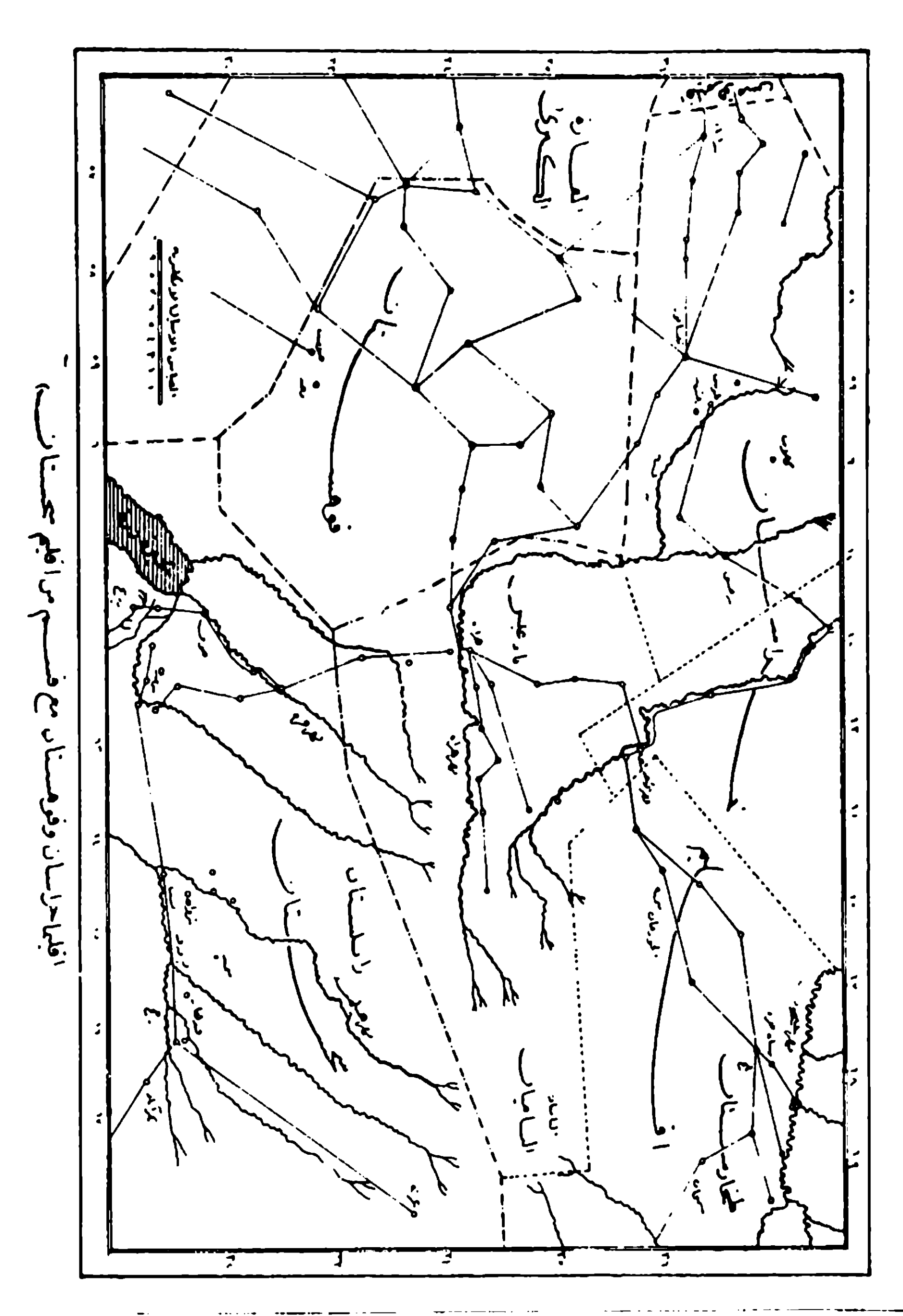
(٢) خراسان : بلاد واسعة تتاخم العراق العجمي من الغرب وأفغانستان والهند من الشرق ، وتقع كرمان وسجستان الى جنوبها ، وتمتد في الشمال الى أقصى تخوم ايران من أمهات مدنها : نيسابور وهراة ومرو وبلخ أنظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري ص (١٤٥ — ١٦٠) ومعجم البلدان (٤٠٧/٣)

(٣) جمهرة أنساب العرب ص (٢٠٩) وطبقات ابن سعد (٩٣/٧)

(٤) أسد الغابة (٥٥/١) والاصابة (١٠٣/١) والاستيعاب (٧١٥/٢)

(٥) الاصابة (١٠٣/١) ، وفي المعارف ص (٤٢٣) إن أمه هي : حبي بنت عمرو بن ثعلبة من بني أود من باهله ، ويقال : حبي بنت قرط

ابن قُرط من الشجعان ، وقد قال الأحنف مفاخراً بخاله هذا : « ومن له خال مثل خالي ؟ ! » [1] .



اقليما خراسان وقوهستان مع قسم من اقليم كرمان

(١) المعارف ص (٤٢٣) وجمهرة أنساب العرب ص (٢١٢)

وكان أبو الأحنف يكنى : أبا مالك ، قتله بنو مازن في الجاهلية [1] ، أما جدّه معاوية ابن حُصين فقد قتله الفارس المشهور عنترة بن شداد العبسي[2]

وعم الأحنف يقال له : المتشمس بن معاوية يفضل على الأحنف في حلمه ، وعم الأحنف الأصغر هو صعصعة بن معاوية كان سيد بني تميم في خلافة معاوية بن أبي سفيان[3]

وكان للأحنف ولد يقال له : بحر ، وبه يكنى ، وقد مات وانقطع عقبه [4] ، لذلك لا عقب للأحنف[5]

لقد ورث الأحنف الشجاعة والحلم عن آبائه وأخواله فيما ورثه عنهم من مزايا وخلال.

إسلامه

أدرك الأحنفُ النبي ﷺ ولم يره [6] ، وقد أسلم على عهد النبي ﷺ كما أسلم قومه باشارته [7] ، فقد بعث النبي ﷺ رجلا من بني ليث إلى بني سعد رهط الأحنف ، فجعل يعرض عليهم الإسلام ، فقال الأحنف : « إنه يدعو الى خير ويأمر بخير [8] » وفي رواية أن الأحنف قال لقومه : « إنه ليدعوكم إلى الاسلام وإلى مكارم الأخلاق ، وينها كم عن ملائمها » ، فأسلموا وأسلم الأحنف[9]، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : «اللهم اغفر للأحنف» ،

---

(١) المعارف ص (٤٢٣)

(٢) وفيات الأعيان (٢/١٩١)

(٣) المعارف ص (٤٢٤)

(٤) وفيات الأعيان (٢/١٩١)

(٥) المعارف ص (٤٢٥)

(٦) أسد الغابة (١/٥٥) والاستيعاب (٢/٧١٥ — ٧١٦)

(٧) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/٧٨)

(٨) أنظر تهذيب ابن عساكر (٧/١٠)

(٩) المعارف ص (٤٢٣) ووفيات الأعيان (٢/١٨٦)

فكان الأحنف بعد ذلك يقول : « فما شيء أرجى عنـدي من ذلك [1] ، » كما دعا له حين قدم عليه وفد تميم فذكروه له [2] .

كان الأحنف يقول : « بينا أنا أطوف بالبيت في زمن عثمان بن عفان ، إذ لقيني رجل من بني ليث فأخذ بيدي ، فقال : ألا أبشّرك ؟ قلت : بلى : فقال : تذكر إذ بعثني رسول الله ﷺ إلى قومك بني سعد ، فجعلت أعرض عليهم الاسلام وأدعوهم اليه ، فقلت أنت : إنك لتدعو الى خير ، وما أسمع إلا حسنا قال : فاني ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : اللهم اغفر للأحنف [3] »

ولم يفد الأحنف على النبي ﷺ ، ولـكنه وفـد على عمر بن الخطاب [4] ، فقال رجل من المهاجرين : « يا أمير المؤمنين ! إنّ هذا ـ يعني الأحنف ـ الذي كف عنا بني مُرّة حين بعثنا رسول الله ﷺ في صدقاتهم ، وقد كانوا هموا بنا [5] » ، وهذا موقف مشرف للأحنف في الدفاع عن الإسلام ودعاته

وقد ثبت الأحنف على إسلامه حين ارتدّ قومه بعد التحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ، وقـد أتى هو وعمه المتشمس بن معاوية مُسيلمة الـكذاب ليسمعا منه ، فلما خرجا قال الأحنف : « كيف تراه ؟ ! » ، فقال : « أراه كذاباً » [6] ولا أشك أن ثباته على

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٧/١٠) وطبقات ابن سعد (٧/٩٣ — ٩٤) وأسد الغابة (١/٥٥) والاصابة (١/١٠٣)

(٢) الاستيعاب (٢/٧١٥ — ٧١٦)

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/٧٨)

(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/٧٨)

(٥) ذكر أخبار أصبهان (١/٢٢٤) وتهذيب ابن عساكر (٧/١٠)

(٦) المعارف ص (٤٢٤)

عقيدته في أيام الردة ـ وهي أيام المحنة الكبرى لتلك العقيدة ، كان ذا تأثير حاسم على قومه وعلى صمود كثير من تميم على الإسلام أمام تيار الردة الجارف ، مما سهّل على المسلمين القضاء على فتنة المرتدين وإعادة وحدة شبه الجزيرة العربية إلى ما كانت عليه أيام الرسول الكريم

جهاده

١ ـ قبل الفتح

طوّق الفرس قوات العلاء بن الحضرمي في (الأهواز) ، فتحرّج موقف المسلمين هناك تحرّجاً شديداً ، فأرسل عمر بن الخطاب إلى عُتبة بن غزوان يأمره بإنفاذ جيش كثيف إلى فارس لانقاذ جيش العلاء بن الحضرمي ، فأرسل عتبة جيشاً كثيفاً في اثني عشر ألف مقاتل فيهم عاصم بن عمرو التميمي وعَرْفجة بن هرثمة البارقي والأحنف بن قيس عليهم أبو سَبْرَة بن أبي رُهْم ، فأنقذ هذا الجيش قوات العلاء بن الحضرمي وعاد الى البصرة [1]

ولما تولى أبو موسى الأشعري البصرة ، أوفد الأحنف مع بعض رجالات البصرة إلى عمر بن الخطاب فاحتبسه حولاً كاملاً ، ثم قال له : « هل تدري لِمَ حبستك ؟ إن رسول الله ﷺ خوّفنا كل منافق عليم ، ولستَ منهم إن شاء الله » قال الأحنف : « قدمت على عمر ابن الخطاب فاحتبسني عنده حولاً فقال : يا أحنف قد بلوتك وخبرتك فلم أر إلا خيراً ، ورأيت علانيتك حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك ، فانا كنا نتحدث ، إنما هَلكّ هذه الأمة كل منافق عليم » ، وكتب عمر إلى أبي موسى : « أما بعد فادن الأحنف وشاوره واسمع منه [2] » ، فشهد مع أبي موسى الأشعري الذي كان على أهل

---

(١) الطبري (٣/١٧٨) وابن الأثير (٢/٢٠٨ — ٢٠٩)

(٢) طبقات ابن سعد (٧/٩٤) وانظر تاريخ عمر بن الخطاب — لابن الجوزي — ص (٨٧) وتهذيب ابن عساكر (٧/١١) وذكر أخبار أصبهان (١/٢٢٥) وفي ابن الأثير (٢/٢١٠) : أن عتبة بن غزوان الذي كان أول أمير على البصرة هو الذي أوفد الأحنف الى عمر بن الخطاب

البصرة فتح (تُسْتَر [1]) وقدم على عمر بفتحها [2] ، حيث أرسله أبو سبرة بن أبي رهم الذي كان القائد العام إلى عمر بن الخطاب مع أنس بن مالك وأرسل معهما (الهرمزان) ، فسأل عمر الوفد قائلا : « لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة ، فلهذا ينتقضون بكم » ، وكان يشير إلى انتقاض الهرمزان بعد صلحه مع المسلمين ، فقال الأحنف : « يا أمير المؤمنين إنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد ، وإن ملك فارس بين أظهرهم ، ولا يزالون يقاتلون ما دام ملكهم فيهم ، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه ، وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاثهم وغدرهم ، وان ملكهم هو الذي يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح ، فنسيح في بلادهم ونزيل ملكهم ، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس » فقال عمر : « صدقتني والله » وأذن في الانسياح في بلاد فارس [3]

٢ ـ الفاتح

عرف عمرُ الأحنفَ معرفة شخصية ، فرأى منه عقلاً وديناً [4] ، كما برز مجاهداً في ميدان القتال ، لذلك دفع له لواء (خُراسَان) حين أذن في الانسياح في بلاد فارس سنة سبع عشرة للهجرة [5]

وشهد الأحنف قبل أن يتوجه لفتح (خراسان) فتح (نهاوند) مع أهل البصرة الذين جاءوا مدداً وعليهم أبو موسى الأشعري [6] ، فلما انصرف أبو موسى من نهاوند

---

(١) تستر : أعظم مدينة بخوزستان ، وهو تعريب : شوشتر أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٨٦) والمسالك والممالك للاصطخري ص (٦٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (١٧٠)

(٢) تهذيب ابن عساكر (٧/ ١) وذكر أخبار أصبهان (١/٢٢٤)

(٣) الطبري (٣/١٨٤ — ١٨٠) وابن الأثير (٢/٢١٣)

(٤) أسد الغابة (١/٥٥)

(٥) الطبري (٣/١٨٩) وابن الأثير (٢/٢١٤) ومعجم البلدان (٣/٤٠٩)

(٦) ابن الأثير (٣/٦)

وفتح (قُمْ [1]) ، وجه الأحنف إلى (قاشان) ففتحها عنوة ثم لحق بأبي موسى الأشعري [2]

وبعد أن أنجز الأحنف كافة متطلبات قواته للقتال وأكمل تحشدها ، سار لفتح (خراسان) سنة ثماني عشرة للهجرة وفي قول بعضهم سنة اثنتين وعشرين للهجرة [3]

لقد التجأ (يزدجرد) بعد هزيمة الفرس في معركة (جلولاء) إلى (الري) ثم قصد (أصبهان) ثم منها إلى (كرمان) ، ثم قصد (خراسان) ، فأتى (مرو [4]) فنزلها وبنى بها بيتاً للنار ، فدان له من فيها من الفرس ، فكاتب (الهرمزان) وأثار أهل فارس وأهل الجبال ، فنكثوا العهد ، فلما قضى المسلمون على مقاومات الفرس في تلك المناطق ، جاء دور (خراسان) ، فسار الأحنف على رأس جيشه حتى دخل (خراسان) من (الطَّبَسين [5]) فافتتح (هَرَاة [6]) عنوة واستخلف عليها ، وسار نحو (مرو الشاهجان [7]) ، فكتب

---

(١) قم : مدينة تذكر مع قشان ، وهي مدينة مستحدثة إسلامية أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١٥٩/٧) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٤٢)

(٢) البلاذري ص (٣١٠) وجمع فتوح الاسلام — ملحق بجوامع السيرة لابن حزم — ص (٣٤٦)

(٣) الطبري (٢٤٤/٣) وابن الأثير (١٢/٣)

(٤) مرو : أشهر مدن خراسان وأقدمها وأكثرها خيراً ويوجد (مروان) تثنية مرو : مرو الشاهجان ومرو الروذ أنظر التفاصيل في المسالك والممالك (١٤٧) ومعجم البلدان (٣٠/٨) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٥٦)

(٥) طبس : مدينة في برية بين نيسابور وأصبهان وكرمان وهما : طبسان : طبس كيلكي وطبس مسينان ويقال لهما : الطبسان أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨/٦) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٠٦)

(٦) هراة : مدينة عظيمة من مدن خراسان أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٥١/٨) والمسالك والممالك ص (١٤٩)

(٧) مرو الشاهجان : أشهر مدن خراسان . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٣/٨)

(يزدجرد) وهو في (مَرْو الرُّوذ [1]) إلى خاقان ملك الترك وإلى ملك (الصُّغْد [2]) وإلى ملك الصين يستمدهم

وخرج الأحنف من مرو الشاهجان بعد أن وصلته إمدادات أهل الكوفة ، فسار نحو (مرو الروذ) فلما سمع (يزدجرد) سار عنها إلى (بَلْخ [3]) ونزل الأحنف (مرو الروذ) ، وقدم أهل الكوفة إلى (بلخ) وأتبعهم الأحنف ، فالتقى أهل الكوفة بيزدجرد في (بلخ) فهزموه ، فما لحق الأحنف بأهل الكوفة إلا وقد فتح الله عليهم

وتتابع أهل (خراسان) ممن شذّ أو تحصّن على الصلح فيما بين (نَيْسَابور [4]) إلى (طَخارسْتان [5]) ممن كان في مملكة كسرى ، أما الأحنف فعاد إلى (مرو الروذ) فنزلها واستخلف على (طخارستان) ربعي بن عامر التميمي [6]

---

(١) مرو الروذ : مدينة قريبة من مرو الشاهجان ، بينهما خمسة أيام ، وهي صغيرة بالنسبة الى مرو الأخرى راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٢) والمسالك والممالك ص (١٥٢) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٥٥)

(٢) الصغد : ولاية كبيرة قصبتها سمرقند أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٦٢) والمسالك والممالك ص (١٧٧ — ١٧٩) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٥٤٣)

(٣) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٦٣) والمسالك والممالك ص (١٥٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٢١)

(٤) نيسابور : مدينة عظيمة في خراسان أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٠٦) والمسالك والممالك ص (١٤٥) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٧٣)

(٥) طخارستان : ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد ، وهي من نواحي خراسان ، وهي طخارستان العليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون ، وطخارستان السفلى غربي جيحون أيضاً إلا أنها أبعد من بلخ

أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣١) والمسالك والممالك ص (١٥٦)

(٦) ربعي بن عامر التميمي : صحابي جليل كان عمر بن الخطاب أمد به المثنى بن حارثة الشيباني ، وكان من أشراف العرب ، وكان على مجنبة هاشم بن عتبة عند عودة جيش العراق من أرض الشام بعد اليرموك ، كما شهد (نهاوند) ، وولاه الأحنف طخارستان راجع الاصابة (٢/١٩٤) .

وكتب الأحنف إلى عمر بن الخطاب بفتح (خراسان) ، فقال عمر عن الأحنف : « هو سيد أهل المشرق المسمى بغير اسمه » ولكن عمر قال : « لوددت أني لم أكن بعثت إلى خراسان جنداً ، ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار » ، وخشي أن يتقدم الأحنف بجنوده إلى ما وراء خراسان من أرض الشرق ، كما خشي أن تأخذ المسلمين نشوة الظفر فيتغلغلوا شرقاً ، فكتب إلى الأحنف يقول : « أما بعد ، فلا تجوزنّ النهر واقتصر على ما دونه ، وقد عرفتم بأي شيء دخلتم على خراسان ، فداوموا على الذي دخلتم به يَدُم لكم النصر ، وإياكم أن تعبروا فتنفضّوا ! »

لقد كان لهذا الحذر من جانب عمر ما يسوّغه ، فقد اتسعت رقعة الفتح في الشرق فتناولت أرض فارس كلها ، وقد طالت خطوط مواصلات المسلمين كثيراً وتوزعت قواتهم في أرجاء الشام والعراق وفارس ؛ وقد دلت الحوادث من بعدُ ، أن عمر كان حصيف الرأي بعيد النظر ، فقد سار خاقان الترك في جنده ويزدجرد معه ، فعبروا النهر الى (بلخ) واضطروا جند الكوفة أن يتراجعوا منها إلى (مرو الروذ) ، ومن (بلخ) تقدمت قوات خاقان وحلفائه باتجاه الأحنف في (مرو الروذ) ، وكان الأحنف قد خرج بقواته ليلاً من المدينة وعسكر خارجها ، وفي الصباح جمع الناس وقال لهم : « إنكم قليل وإن عدوكم كثير ، فلا يهولنكم ، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ارتحلوا من مكانكم هذا ، فاسندوا إلى هذا الجبل فاجعلوه في ظهوركم واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم ، وقاتلوهم من وجه واحد [1] » ؛ وكانت قوة الأحنف تقدر بعشرين ألفاً :

---

(١) في الطبري (٣/٢٤٦) وابن الأثير (٣/١٤) : وخرج الأحنف ليلاً يتسمع ، هل يسمع برأي فينتفع به ، فمر برجلين ينقيان علفاً : إما تبناً أو شعيراً ، وأحدهما يقول لصاحبه : لو أن الأمير أسندنا الى هذا الجبل ، فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً ، وكان الجبل في ظهورنا من أن نؤتى من خلفنا ، وكان قتالنا من وجه واحد ، رجون أن ينصرنا الله فرجع الأحنف وعمل بهذه الفكرة الصائبة

عشرة آلاف من أهل الكوفة وعشرة آلاف من أهل البصرة

وأقبل الترك ، فكانوا يناوشون المسلمين نهاراً ويتنحّون عنهم ليلاً ، فخرج الأحنف بنفسه ليلةً طليعة لأصحابه حتى كان قريباً من معسكر خاقان الترك ، فلما تنفّس الصبح خرج فارسٌ من الترك بطوقه وضرب بطبله ، فحمل عليه الأحنف ، فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف وهو يقول :

إنَّ على كل رئيس حقّاً أن يخضب الصَّعْدَةَ أو تندقا
إنَّ لنا شيخاً بها مُلَقّى سيف أبي حفص الذي تَبقّى (١)

وخرج فارس تركي ثان ، فأورده الأحنف حتفه بطعنة نجلاء وهو يرتجز :

إنّ الرئيس يَرْتبي ويَطْلُعُ ويمنع الخُلاءَ إما أرْبَعوا (٢)

وخرج فارس تركي ثالث ، فأورده الأحنف مورد صاحبيه وهو يرتجز :

جرْيُ الشموس ناجزاً بناجز محتفلاً في جَرْيه مُشارِزِ (٣)

ثم انصرف الأحنف إلى عسكره وأعد رجاله للقتال ، ولكن الترك آثروا العودة إلى ديارهم ، لأن مقامهم طال دون جدوى ، ولأنهم تكبّدوا خسائر فادحة بالأرواح ، ولأن أملهم بالنصر كان ضعيفاً ، ولأنهم اطمأنوا إلى أن المسلمين لن يعبروا اليهم النهر تنفيذاً لأمر الخليفة عمر بن الخطاب

---

(١) الصعدة : الرمح أو آلة جارحة أصغر من الحربة ملقى : طريح ويقصد به الشهيد والمعنى : واجب كل أمير أن يقاتل حتى يدمى رمحه أو يتحطم من شدة القتال ، ثم يتذكر الشهيد أبا حفص الثاوي هناك أنظر تاج العروس (٢/٢٩٨)

(٢) يرتبي : يصعد الرابية الخلاء : جمع خلي ، وتميم تقول خلا فلان على اللبن واللحم إذا لم يأكل معه شيئاً ولا خلط به ربع بالمكان : أقام يريد : إن واجب الرئيس أن يتحمل عبء الدفاع عن رجاله وحمايتهم

(٣) الشموس الفرس تمنع ظهرها مشارز : الشدة والصعوبة والقوة يعني : انه يزج نفسه بالحرب بقوة واندفاع كما تندفع الفرس الشموس لا تلوي على شيء في جريها القوي الشديد .

وكان يزدجرد حين أنسحب جند الكوفة من (بلخ) وانضموا الى الأحنف بمرو الروذ قد فصل في قوة فارسية من (بلخ) الى (مرو الشاهجان) ، لحصر المسلمين بها واستخرج خزائنه من موضعها

وعلم يزدجرد بانسحاب خاقان الى (بلخ) وعزمه على الانسحاب من فارس كلها الى بلاده ، فأراد أن يحمل خزائنه ويلحق بخاقان حليفه ، فقال له أهل فارس : أي شيء تريد أن تصنع ؟! فقال : « أريد اللحاق بخاقان فأكون معه أو بالصين » ، فقالوا : مهلاً ! إن هذا رأى سوء ، فأنك إنما تأتي قوماً في مملكتهم وتدع أرضك وقومك ، ولكن أرجع بنا إلى هؤلاء القوم فنصالحهم فانهم يلون بلادنا ، وإن عدواً يلينا في بلادنا أحب الينا مملكة من عدو يلينا في بلاده ، ولا دين لهم ولا ندري ما وفاؤهم !!.. فأبى عليهم وأبوا عليه ، فقالوا : فدع خزائننا نردها الى بلادنا ومَنْ يَليها ولا تخرجها من بلادنا الى غيرها !. فخالفهم يزدجرد وأصرّ على رأيه ؛ فخرجوا اليه وثاروا به وقاتلوه وحاشيته واستولوا على خزائنه ففر فيمن معه إلى (بلخ) ، فاذا خاقان سبقه إلى الانسحاب منها ، فتابع فراره حتى بلغ (فَرْغَانَة [1]) عاصمة الترك ، فقال المسلمون للأحنف : ما ترى في اتباعهم ؟ فقال : « أقيموا بمكانكم ودعوهم »

وأقبل أهل فارس على الأحنف فصالحوه وعاهدوه ودفعوا اليه خزائن كسرى وأمواله ، فسار الأحنف بجند الكوفة من (مرو الروذ) إلى (بلخ) فأنزلهم بها ثم عاد إلى مقر قيادته في (مرو الروذ)

وكتب الأحنف الى عمر بالفتح وبعث اليه بالأخماس ، فجمع عمر الناس وخطبهم ،

---

(١) فرغانة : اسم مدينة واسم ولاية أيضا ، وهي ولاية واسعة بما وراء نهر جيحون متاخمة لبلاد تركستان وهنا يقصد مدينة فرغانة وهي عاصمة سمرقند أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣٤٦) والمسالك والممالك ص (١٦٦) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٢٣٥) .

وأمر بكتاب الفتح فقرىء عليهم ، وقال في خطبته : « ألا إنّ الله قد أهلك ملك المجوسية وفرق شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يُضِر بمسلم ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون ، والله بالغ أمره ومنجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله ، فقوموا في أمره على رجل يعرف لكم بعهده ويؤتكم وعده ، ولا تتبدّلوا ولا تغيّروا فيستبدل الله بكم غيركم ، فاني لا أخاف على هذه الأمة أن تُؤتى إلا من قبلكم [1] » ، فكان فتح الأحنف لخراسان النذير الصادق بانتهاء دولة الأكاسرة من بني ساسان ونشر رايات العرب المسلمين في تلك البلاد [2]

٣ — استعادة فتح خراسان

نكث أهل فارس العهد بعد عمر بن الخطاب [3] ، فلما استعاد عبد الله بن عامر فتح بعض أرض فارس في أيام عثمان بن عفان ، غزا خراسان [4] وعلى مقدمته الأحنف فأتى (الطَّبَسين) وهما حصنان وبابا خراسان فصالحه أهلهما ، فسار الى (قُهُسْتان [5])

(١) أنظر تفاصيل قصة فتح خراسان في الطبري (٣/٢٤٤ - ٢٥) وابن الأثير (٣/١٣-١٥)

(٢) فتحت خراسان سنة اثنتين وعشرين للهجرة أنظر الطبري (٣/٢٤٤) وابن الأثير (٣/١٣) وتاريخ أبي الفدا (١/١٦٤) ، وذلك لأن انسياح المسلمين في ولايات فارس جرى بعد معركة (نهاوند) التي كانت سنة إحدى وعشرين للهجرة ، ولم يكن بامكان المسلمين التغلغل بهذا العمق قبل معركة (نهاوند) الحاسمة التي قضت على القوات الضاربة المهمة للفرس ، لذلك أطلق العرب بحق على معركة (نهاوند) اسم : فتح الفتوح

(٣) ابن الأثير (٣/٤٧)

(٤) البلاذري ص (٣٩٤)

(٥) قهستان : في البلاذري ص (٣٩٤) ورد اسمها : قوهستان كذلك في معجم البلدان (٧/١٨٧) والمسالك والممالك ص (١٥٤) : تعريب كوهستان ومعناه موضع الجبال ، لأن كوه هو الجبل بالفارسية وهي ولاية بين هراة ونيسابور وأنظر آثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٤١)

فلقيه أهلها وقاتلهم حتى ألجأهم الى حصنهم ، فقدم عليها عبد الله بن عامر وصالح أهلها [1]

ووجه ابن عامر الأحنف إلى (طخارستان) ، فأتى الموضع الذي يقال له : قصر الأحنف ، وهو حصن (مرو الروذ) وله رُسْتَاق [2] عظيم يعرف برُسْتاق الأحنف [3] لحصر الأحنف أهله ، فصالحوه على ثلاثمائة الف درهم ومضى الأحنف الى (مرو الروذ) فصالح أهلها بعد قتال شديد ، وسير الأحنف سرية فاستولت على رُسْتاق (بَغْ [4]) وصالحت أهله [5]

وجمع له أهل (طخارستان) ، فاجتمع أهل (الجُوزْجَان [6]) و (الطَالقَان [7]) و (الفَارِيَاب [8]) ومن حولهم ، فبلغوا ثلاثين ألفاً ، وجاءهم أهل (الصَغَانِيَان [9])

---

(١) ابن الأثير (٢/٤٧) ، وفي البلاذرى : أن الأحنف استعاد فتح قوهستان عنوة ، ويقال : بل ألجأهم الى حصنهم ، ثم قدم عليها ابن عامر ، فطلبوا الصلح فصالحهم على ستمائة الف درهم وانظر تاريخ ابن خلدون (٢/١٣٢)

(٢) الرستاق : مجموعة القرى

(٣) البلاذري ص (٣٩٦ — ٣٩٧)

(٤) بغ : ويقال لها : بغشور ، وهي بلدة بين هراة ومرو الروذ أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٤٥ — ٢٤٦) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٢٩)

(٥) ابن الأثير (٣/٤٨) والبلاذري ص (٢٩٧)

(٦) الجوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/١٦٧) والمسالك والممالك ص (١٥٣)

(٧) الطالقان : بلد بخراسان بين مرو الروذ وبلخ أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٧) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٢ ٤)

(٨) الفارياب : مدينة مشهورة بخراسان قرب بلخ غربي جيحون أنظر معجم البلدان (٧/٣٢٨)

(٩) الصغانيان : ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الأعمال بترمذ انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٦١)

وهم من الجانب الشرقي من نهر جيحون، فالتقوا واقتتلوا ، فحمل ملك (الصغانيان) على الأحنف فانتزع الأحنف الرمح من يده وقاتل قتالا شديداً ، فانهزم الفرس وحلفاؤهم فطاردهم المسلمون وألحقوا بهم خسائر فادحة بالأرواح (١)

ولحق بعض العدو (بالجوزجان) فوجه اليهم الأحنف الأقرع بن حابس التميمي (٢) في خيل ، وأوصى قومه بني تميم بقوله : « يابني تميم ! تحابوا وتباذلوا تعدل أموركم ، وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم » ، فسارع الأقرع ولقي العدو بالجوزجان ، فكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا فهزموا عدوهم وفتحوا الجوزجان عنوة (٣)

واستعاد الأحنف فتح (الطالقان) صلحاً وفتح (الفارياب) ، ثم سار الى (بلخ) وهي مدينة (طخارستان) فصالحه أهلها أيضاً ، فسار الى (خوارزم)(٤) وهي على نهر جيحون ،

---

(١) الطبري (٣/٣٠٦) وابن الأثير (٣/٤٨) والبلاذري ص (٢٩٧) وانظر البدء والتاريخ (٥/١٩٨)

(٢) الأقرع بن حابس التميمي : وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف ، وهو من المؤلفة قلوبهم ، وقد حسن إسلامه

شهد حرب اليمامة مع خالد بن الوليد ، وشهد مع شرحبيل بن حسنة دومة الجندل ، وشهد مع خالد حرب أهل العراق وفتح الأنبار واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره الى خراسان فأصيب بالجوزجان هو والجيش وذلك في زمن عثمان بن عفان ، ولكنه تغلب على العدو في النهاية

كان شريفاً في الجاهلية والاسلام ، واسمه الأصلي : فراس وإنما قيل له : الأقرع ، لقرع كان برأسه أنظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٧/٣٧) والاصابة (١/٥٨) وأسد الغابة (١/١٠٧) والاستيعاب (١/١٠٣)

(٣) الطبري (٣/٣٠٧ — ٣٠٨) وابن الأثير (٣/٤٨) والبلاذري ص (٢٩٨)

(٤) خوارزم : اسم اقليم ، وهو منقطع عن خراسان وعما وراء النهر ، وتحيط به المفاوز من كل جانب ، وحدها متصل بحد الغزية فيما يلي الشمال والمغرب ، وجنوبيه وشرقيه خراسان وما وراء النهر ، وهي على جانبي نهر جيحون ومدينتها في الجانب الشمالي من جيحون أنظر التفاصيل في المسالك والممالك ص (١٩٨) ومعجم البلدان (٣/٤٧٢)

فلم يقدر عليها، فاستشار أصحابه فأشاروا عليه بالعودة الى بلخ [1]

وهكذا استعاد الأحنف فتح خراسان ثانية [2]

الانسان

ا -- حياته :

ذكرنا إسلامه وجهاده، وكان بالاضافة الى ما ذكرناه، من سادات التابعين وأكابرهم [3]، وسيداً مطاعاً في قومه [4] وسيد أهل البصرة [5]

وفد على عمر بن الخطاب وعثمان بن عثمان، وكان موضع ثقتهما وتقديرهما، ولما تولى علي ابن أبي طالب الخلافة وقصدت عائشة أم المؤمنين البصرة، كتبت اليه وإلى أمثاله من رجالات البصرة وأقامت (بالحفير) [6] تنتظر الجواب [7]، وكان الأحنف قد بايع علياً بالمدينة بعد مقتل عثمان وكان الأحنف حينذاك في طريق عودته من الحج، ولكنه اعتزل

(١) الطبري (٣/٢٥٨) وابن الأثير (٣/٤٩) والبلاذري ص (٣٩٨) واليعقوبي (٢/١٤٤) وجمل فتوح الاسلام — ملحق بجوامع السيرة — لابن حزم ص (٣٤٨) وتهذيب ابن عساكر (٧/١٢)

(٢) أنجز الأحنف اعادة فتح خراسان سنة إحدى وثلاثين للهجرة أنظر الطبري (٣/٣٠٨) وابن الأثير (٣/٤٩) وتأريخ أبي الفدا (١/١٦٨)

(٣) وفيات الأعيان (٢/١٨٦) وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/٧٨) وتاريخ الاسلام (٣/١٢٩)

(٤) تاريخ الاسلام (٣/١٢٩) والبداية والنهاية (٨/٣٢٦) وتهذيب ابن عساكر (٧/١١)

(٥) الاصابة (١/١٠٣) وأسد الغابة (١/٥٥)

(٦) الحفير : موضع بين البصرة ومكة، وهو أول منزل من البصرة لمن يريد مكة أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣٠٣)

(٧) ابن الأثير (٣/٨٢)

الفريقين في معركة الجمل ومعه زهاء ستة آلاف ، وبقى مع أصحابه (بالجلحاء)[1] على فرسخين من البصرة

فقد قصد الأحنف كلاً من عائشة وطلحة والزبير عند وصولهم البصرة ، فقال لهم : « والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين ، ولا أقاتل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمروني ببيعته ، ولكن اعتزل » ، فأذنوا له في ذلك

ولما قدم علي بن أبي طالب البصرة ، أتاه الأحنف فقال : « إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غداً قتلت رجالهم وسبيت نساءهم » فقال علي : « ما مثلي يخاف هذا منه ، وهل يحل هذا إلا لمن تولى وكفر ، وهم قوم مسلمون » ، فقال الأحنف : « إختر مني واحدة من اثنتين : إما أن أقاتل معك ، وإما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف » ، فقال علي: « اكفف عنا عشرة آلاف سيف » ، فرجع الى الناس ودعاهم الى القعود واعتزل بهم[2]

والظاهر أن هناك أسباباً أخرى لاعتزال الأحنف ، فقد تأثر لمقتل عثمان بن عفان ، وكان يرى أن الأقدام على قتله جريمة لا تغتفر لما قدّمه عثمان من خدمات جليلة للاسلام قال الأحنف : « خرجنا حجاجاً فقدمنا المدينة ونحن نريد الحج ، فبينا نحن في منازلنا نضع رحالنا ، إذ أتانا آتٍ فقال : إن الناس قد اجتمعوا في المسجد وفزعوا فانطلقنا فاذا الناس مجتمعون على نفر في وسط المسجد ، وإذا علي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ، فانا كذلك إذ جاء عثمان بن عفان عليه مُلاءة[3] صفراء قد قنّع بها رأسه[4] ، فقال :

(١) الجاحاء : موضع على فرسخين من البصرة ، وهي غير الجلحاء الوارد ذكرها في معجم البلدان (١٢١/٣)

(٢) الطبري (٥٠٩/٣ — ٥١٠) وابن الأثير (٩١/٣)

(٣) الملاءة : الأزار والربطة

(٤) قنع رأسه : أي القى على رأسه لدفع الحر أو غيره

أههنا علي ؟ أههنا طلحة ؟ أههنا الزبير ؟ أههنا سعد ؟ قالوا : نعم . قال : فأني أنشدكم بالله الذي لا إلا إلا هو ، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يبتاع مربد [1] بني فلان غفر الله له ؛ فابتعته بعشرين ألفاً أو بخمسة وعشرين ألفاً ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : أجعلها في مسجدنا وأجره لك قالوا : اللهم نعم قال : فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يبتاع (بئر رومة)[2] غفر الله له ، فابتعته بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت : قد ابتعتها بكذا وكذا ، فقال : اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك قالوا : اللهم نعم !. قال : فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر في وجوه القوم فقال : من جهز هؤلاء غفر الله له - يعني جيش العسرة - فجهزتهم حتى ما يفقدوا عقالاً ولا خطاماً ! قالوا : اللهم نعم قال : اللهم اشهد .. اللهم اشهد ..» وهذا سبب من أسباب اعتزال الأحنف [3] معركة (الجمل) [4]

لقد كان الأحنف في حرج شديد من قتال أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم : طلحة والزبير، ولكنه كان يرى أن علياً على الحق وأنه مسؤول عن إسناده[5]، لذلك آثر استرضاء الطرفين ، فاعتزل وقعة (الجمل) ولكنه شهد مع علي بن أبي طالب

(١) مربد : موضع يجعل فيه التمر لينشف

(٢) بئر رومة : بئر في عقيق المدينة ، وهي التي اشتراها عثمان بن عفان فتصدق بها أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤)

(٣) سنن الامام النسائي (٢/١٢٤) وانظر حاشية السندي على النسائي على هامش سنن النسائي (٢/١٢٤) وأنظر أيضاً الطبري (٣/ ٥١)

(٤) الاصابة (١/١٠٢) وأسد الغابة (١/٥٥) ووفيات الأعيان (٢/١٨٦) وتاريخ أبي الفدا (١/١٧٤) والامامة والسياسة لابن قتيبة (١/٧١)

(٥) أنظر الطبري (٣/٥١٣) حول رأي الأحنف في اسناد علي بن أبي طالب

وقعة (صفين) [1]

قال الأحنف لعلي : « يا أمير المؤمنين ! إنه إن يك بنو سعد لم ينصروك يوم الجمل ، فلن ينصروا عليك غيرك وقد عجبوا ممن نصرك يومئذ ، وعجبوا اليوم ممن خذلك ؛ لأنهم شكّوا في طلحة والزبير ولم يشكّوا في عمرو ومعاوية .... » ، فقال علي : « اكتب إلى قومك » فكتب الأحنف إلى بني سعد ، فلما انتهى كتابه اليهم ساروا بجماعهم حتى نزلوا الكوفة [2]

وقال لعلي قبل معركة صفين : « لم نقاتل القوم لنا ولك ، إنما قاتلناهم لله ، فأن حال أمر الله دوننا ودونك فاقبله ، فأنك أولى بالحق وأحقنا بالتوفيق ؛ ولا أرى إلا القتال ! » [3]

ولما استقرّ الأمر لمعاوية بن أبي سفيان دخل عليه الأحنف يوماً ، فقال له معاوية : « والله يا أحنف ، ما أذكر يوم صفين إلا كانت حزازة في قلبي إلى يوم القيامة ! » ، فقال الأحنف : « والله يا معاوية ، إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا ، وإن السيوف التي قاتلناك بها لفي أغمادها ، وإن تدْنُ من الحرب فتراً ندْنُ منها شبراً ، وإن تمش اليها نهرول اليها ! » ، ثم قام وخرج وكانت أخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه : فقالت : « يا أمير المومنين ، من هذا الذي يتهدّد ويتوعّد ؟! » ، قال : « هذا الذي إذ غضب غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب » [4]

ولى خراسان في أيام عمر بن الخطاب وفي أيام عثمان بن عفان وأخباره كثيرة ، وقـ

(١) البداية والنهاية (٨/٣٢٧) والاصابة (١/١٠٣) وأسد الغابة (١/٥٥) ووفيات الأعيان (٢/١٨٦) وتأريخ الاسلام (٣/١٢٩)
(٢) الامامة والسياسة لابن قتيبة (١/٨٦ — ٨٧)
(٣) الامامة والسياسة لابن قتيبة (١/١٢٣)
(٤) وفيات الأعيان (٢/١٨٦ — ١٨٧) وشذرات الذهب (١/٧٨)

ولد ملتصق الاليتين حتى شق [1]، كما ولد وهو أحنف الرجل، فكانت أمه ترقصه وتقول:

والله لولا حَنَفٌ في رجله   ما كان في الحي غلامٌ مثله [2]

وكان يطأ على وَحْشي رجله، ولذا قيل له: الأحنف [3] وكان أعور ذهبت عينه عند فتح (سمرقند)، وقيل: بل ذهبت عينه بالجدري وكان متراكب الأسنان، صغير الرأس، مائل الذقن [4]، قصيراً دميماً له بيضة واحدة [5]، ناتيء الوجنة باخع العينين [6]، خفيف العارضين [7]، وكان ثطاً ـ يعني كوسجاً ـ وكان رهطه يقولون: « وددنا أننا اشترينا للأحنف لحية بعشرة آلاف » [8]

وكان يهتم بقيافته فيرتدي مِطْرف خز وعمامة من خز [9]، وكان صديقاً لمُصْعب ابن الزبير فوفد عليه بالكوفة ـ ومُصْعب يومئذٍ والٍ عليها، فتوفى الأحنف عنده بالكوفة سنة سبع وستين للهجرة [10] (٦٨٦ م) عن سبعين سنة [11]، أي أنه ولد سنة ثلاث قبل الهجرة (٦١٩ م) وصلى عليه مصعب بن الزبير ومشى راجلاً

---

(١) وفيات الأعيان (٢/١٩١)

(٢) طبقات ابن سعد (٧/٩٣)

(٣) الأحنف : المائل ووحشي الرجل : ظهرها والحنف في الرجل : أن تقبل كل واحدة منها بأبهامها على صاحبتها

(٤) وفيات الأعيان (٢/١٩١)

(٥) البداية والنهاية (٨/٣٢٧) وتهذيب ابن عساكر (٧/١١)

(٦) باخع العينين : منخسف العينين

(٧) تهذيب ابن عساكر (٧/٢٣) والمعارف ص (٥٧٨)

(٨) الف باء — للبلوى — (٢/٣٤٣)

(٩) طبقات ابن سعد (٧/٩٧)

(١٠) الاصابة (١/١٠٣) وأسد الغابة (١/٥٥) والاستيعاب (٢/٧١٦) وابن الأثير (٤/١٠٩) وقيل : إنه توفى سنة إحدى وسبعين ، وقيل سبع وسبعين ، وقيل ثمان وستين أنظر وفيات الأعيان (٢/١٩١) ، وقيل سنة اثنتين وسبعين أنظر شذرات الذهب (١/٧٨)

(١١) وفيات الأعيان (٢/١٩١)

بين رجلي نعشه بغير رداء ، وقال في تأبينه : « هـذا سيد أهل العراق [1] ، وقال أيضاً : « اليوم ذهب الحزم والرأي » [2] ودفن (بالثَّوِيَّة)[3] عند قبر زياد بن أبي سفيان[4]

٢ — مزاياه

أ — مزاياه العامة

كان الأحنف موضع ثقة الناس جميعاً بمختلف طبقاتهم وأهوائهم وميولهم ، فما هي المزايا التي جعلته يستحوذ على ثقة غيره به ؟

لقد كان من البيوتات التي تفخر بها البصرة ، وكان في البصرة ستة ليس بالكوفة مثلهم أحدهم الأحنف [5] وكان ثقة مأموناً [6] ، أحد الحكماء الدهاة العقلاء [7] ، عاقلا حكيماً ذا دين وذكاء وفصاحة [8] ، وكان سيد قومه موصوفاً بالعقل والدهاء والعلم والحلم [9] يضرب بحلمه المثل [10] ، وكان سيداً شريفاً مطاعاً مؤمناً عليم اللسان [11]

تلك هي بعض مزايا الأحنف ، فلا عجب أن يقول الشاعر في وصفه :

إذا الأبصار أبصرت ابن قيس ظللن مهابة منه خشوعا

---

(١) الاستيعاب (٢/٧١٦)

(٢) تهذيب ابن عساكر (٧/٢٣)

(٣) الثوية : موضع قريب من الكوفة ، وقيل بالكوفة أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٨) .

(٤) وفيات الأعيان (٢/١٩١) والاستيعاب (٢/٧١٦) والمعارف ص (٤٢٤) وزياد بن أبي سفيان هو : زياد بن أبيه

(٥) ابن الفقيه ص (١٩٠) نقلاً عن كتاب : الجاحظ ص (١٥٧) للدكتور شارل بلات ترجمة ابراهيم الكيلاني

(٦) طبقات ابن سعد (٧/٩٣)

(٧) أسد الغابة (١/٥٥)

(٨) الاستيعاب (٢/٧١٦)

(٩) وفيات الأعيان (٢/١٨٦)

(١٠) الاصابة (١/١٠٣)

(١١) البداية والنهاية (٨/٢٢٦)

وأن يقول عنه خالد بن صفوان : « كان الأحنف يفرّ من الشرف ، والشرف يتبعه[1] ، وقال هشام بن عبد الملك لخالد هذا : « أخبرني عن الأحنف » ، فقال : « إن شئت يا أمير المؤمنين أخبرتك عنه بثلاث ، وإن شئت بثنتين وإن شئت بواحدة » ، قال : « فأخبرني عنه بثلاث » فقال : « كان لا يحسد ولا يجهل ولا يدفع الحق - إذا نزل به خضع لذلك » فقال : « اخبرني عنه بثنتين » ، فقال : « كان يفعل الخير ويحبه ويتوقى الشر ويبغضه » قال : « فأخبرني عنه بواحدة » ، فقال : « كان من أعظم الناس سلطاناً على نفسه » [2]

إنه بلغ بهذه المزايا الانسانية الرفيعة درجة عالية في نفوس الناس واستحوذ على منتهى ثقة الناس بانسان ، فما هي شواهد تلك المزايا الانسانية الرفيعة في الأحنف ؟.

ب — حلمه

كان الأحنف حليماً يضرب بحلمه المثل سئل عن الحلم ما هو ؟ فقال : « الذل مع الصبر » وكان يقول إذا عجب الناس من حلمه : « إني لأجد ما تجدون ، ولكني صبور ! » . وكان يقول: « وجدت الحلم أنصر لي من الرجال » وكان يقول : « ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري [3] ، لأنه قتل ابن أخ له بعض بنيه ، فأتى بالقاتل

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٧/١٣)

(٢) شذرات الذهب (١/٧٨) وانظر تهذيب ابن عساكر (٧/١٣) والعقد الفريد (٩/٢٨٧ — ٢٨٨) مع اختلاف باللفظ واتفاق بالمعنى

(٣) قيس بن عاصم المنقري : قدم في وفد بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في سنة تسع للهجرة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذا سيد أهل الوبر »

كان حليماً مشهوراً بالحلم ، ومن حلمه أنه كان قاعداً بفناء داره وبيده سيفه يحدث قومه ، إذ أتي برجل مكتوف وآخر مقتول ، فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك ! فما قطع كلامه ولا تغير لونه ؛ فلما أتم كلامه التفت الى ابن أخيه فقال : « يا ابن أخي ، بئس ما فعلت ! أثمت بربك وقطعت رحمك وقتلت ابن=

مكتوفاً يُقاد اليه ، فقال : ذعرتم الفتى ! ثم أقبل على الفتى فقال : بئس ما فعلت : نقصت عددك وأوهنت عضدك وأشمتّ عدوك وأسأت بقومك . خلوا سبيله واحملوا إلى أم المقتول ديته فانها غريبة ! ثم انصرف القاتل وما حلّ قيس حبوته ولا تغير وجهه » (١)

وقال رجل للأحنف : « علمني الحلم يا أبا بحر ! » ، فقال : « هو الذل يا ابن أخي ، أفتصبر عليه ؟! » وقال : « لست حليماً ولكنني أتحالم » (٢)

— عمك ورميت نفسك بسهمك » ، ثم قال لابن له آخر : « قم يا بني فوار أخاك وحل كتاف ابن عمك ، وسق الى أمك مائة ناقة دية ابنها ، فانها غريبة »

وكان قيس قد حرم على نفسه الخمر في الجاهلية وقال في ذلك :

رأيت الخمر طالحة وفيها ... خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها صحيحاً ... ولا أشفى بها أبداً سقيما
ولا أعطي بها ثمناً حياتي ... ولا أدعو لها أبداً نديما
فان الخمر تفضح شاربيها ... وتجنيهم بها الأمر العظيما

ومن جيد شعره :

إني امرؤ لا يعتري خلقي ... دنس يدنسه ولا أفن
من منقر في بيت مكرمة ... والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم ... بيض الوجوه أعفة لسن
لا يفطنون بعيب جارهم ... وهم لحسن جواره فطن

وكان لحلمه وورعه وعقله موضع ثقة أبي بكر الصديق سأله مرة عن المثنى بن حارثة الشيباني فقال : « هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد ، هذا المثنى بن حارثة الشيباني »

ولما حضرته الوفاة ، دعا بنيه فقال : « يا بني ! احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني . إذا أنا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم ، فيسفه الناس كباركم وتهونون عليهم وعليكم باصلاح الحال ، فأنه منبه لكريم ويستغنى به عن اللئيم وإياكم ومسألة الناس ، فانها آخر كسب الرجل » راجع الاصابة (٥/٢٨٥) وأسد الغابة (٤/٢١٩) والاستيعاب (٣/١٢٩٤)

(١) وفيات الأعيان (٢/١٨٨) وأنظر البداية والنهاية (٨/٣٢٧)

(٢) العقد الفريد (١/٢٨٧)

ومن أخبار حلمه ، أن رجلا شتمه فسكت عنه ، وأعاد الرجل فسكت عنه ، وأعاد فسكت عنه ، فقال الرجل : « والهفاه ! ما يمنعه من أن يردّ عليّ إلا هواني عنده »(١)

وشتمه رجل وجعل يتبعه حتى بلغ حيّه ، فقال الأحنف : « يا هذا ! إن كان بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف ، لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره »(٢)

وكان يقول : « من لم يصبر على كلمة سمع كلمات ، وربّ غيظ قد تجرّعته مخافة ما هو أشد منه »(٣)

ولكن حلمه كان حلم القوي القدير لا حلم العاجز الضعيف ، فقد قاتل في بعض المواطن قتالا شديداً ، فقال له رجل : « يا أبا بحر ! أين الحلم ؟! » ، فقال : « عند الحي »(٤)

جـ — عقله

كان الأحنف عاقلا راجح العقل قال مرة : « من كان فيه أربع خصال ساد قومه غير مدافع : من كان له دين يحجزه ، وحسب يصونه ، وعقل يرشده ، وحياء يمنعه »(٥)

وقال : « العقل خير قرين ، والأدب خير ميراث ، والتوفيق خير رفيق »(٦)

وقال : « ما ذكرت أحداً بسوء بعد أن يقوم من عندي » وكان إذا ذكر عنده رجل قال : « دعوه يأكل رزقه ويأتي عليه أجله »(٧)

وشكا ابن أخيه وجع الضرس فقال : « ذهبت عيني منذ ثلاثين سنة ما ذكرتها

---

(١) عيون الأخبار (١/٢٨٣)

(٢) عيون الأخبار (١/٢٨٧)

(٣) عيون الأخبار (١/٢٨٤)

(٤) عيون الأخبار (١/١٨٥) ، وعند الحي : يعني بها تركته في الدار كما نقول

(٥) تهذيب ابن عساكر (٧/١٧)

(٦) تهذيب ابن عساكر (٧/١٩)

(٧) تهذيب ابن عساكر (٧/٢١)

لأحد » (١)

وقال : « ما نازعني أحد فوقي إلا عرفت له قدره ، ولا كان دوني إلا رفعت قدري عنه ، ولا كان مثلي إلا تفضلت عليه » (٢) .

ومما يدل على رجاحة عقله ، أنه دخل على معاوية فأشار الى الوسادة وقال له :«اجلس» ، فجلس الأحنف على الأرض ، فقال له معـــاوية : « وما منعك يا أحنف من الجلوس على الوسادة ؟ » ، فقال : « يا أمير المؤمنين إن فيما أوصى به قيس بن عاصم المنقري ولده أن قال : لا تَغْشَ السلطان حتى يَمَلّك ، ولا تقطعه حتى ينساك ، ولا تجلس له على فراش ولا وساد ، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين ، فانه عسى أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس منك ، فتقام له ، فيكون قيامك زيادة له ونقصاً عليك ، وحسبي بهذا المجلس يا أمير المؤمنين، لعله أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس مني » ، فقال معاوية : « لقد أوتيت عيم الحكمة مع دقة حواشي الكلام » (٣)

وكان يقول : « فِيَّ ثلاث خصال ما أقولهن إلا ليعتبر معتبر : ما دخلت بين اثنين قط حتى يدخلاني بينهما ، ولا أتيت باب أحـــد من هؤلاء ما لم أُدْعَ اليه يعني الملوك ، وما حللت حبوتي إلى ما يقوم الناس اليه » ويقول : « ألا أدلكم على المحمدة بلا مرزية ؟ الخلق السجيح والكف عن القبيح ألا أخبركم بأدوأ الداء ؟ الخلق الدني واللسان البذي ! » ويقول : « ما خان شريف ولا كذب عاقل ولا اغتاب مؤمن (٤) »

د – علمه

كان عالماً ثقة مأموناً قليل الحديث وقد روى عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان

(١) تهذيب ابن عساكر (١٦/٧)

(٢) ذكر أخبار أصبهان (١٣٢/٣)

(٣) البيان والتبيين (٧٧/١)

(٤) وفيات الأعيان (١٨٧/٢) والـ ـل للمبرد (٨٩/١)

وعلي بن أبي طالب وأبي ذر الغفاري [1] وروى عنه الحسن البصري وعروة بن الزبير وغيرهما [2] ، وقد كان من الفقهاء البارزين في أيام معاوية بن أبي سفيان [3]

هـ — حكمته

كان حكيما ينطق بالحكمة والموعظة الحسنة سئل عن المروءة فقال : « أدب بارع ولسان قاطع » وسئل عن المروءة أيضاً ، فقال : « التقى والاحتمال » ، ثم أطرق ساعة وقال :

وإذا جميل الوجه لم يأت الجميل فما جماله ؟ !
ما خير اخلاق الفتى إلا تُقاه واحتماله

وسئل عنها فقال : « العفّة في الدين والصبر على النوائب وبر الوالدين والحلم عند الغضب والعفو عند المقدرة »

وقال : « رأس الأدب آلة المنطق ، ولا خير في قول إلا بفعل ، ولا في منظر إلا بمخبر ، ولا في مال إلا بجود ، ولا في صديق إلا بوفاء ، ولا في فقه إلا بورع ، ولا في صدقة إلا بنية [4] »

وقال : « أحي معروفك بإماتة ذكره [5] » وقال : « ما ادّخرت الآباء للأبناء ولا أبقت الموتى للأحياء ، أفضل من اصطناع معروف عند ذوي الأحساب والآداب » وقال : « كثرة الضحاك تذهب الهيبة ، وكثرة المزاح تذهب المروءة ، ومن لزم شيئاً

(١) طبقات ابن سعد (٧/٩٢) والاصابة (١/١٠٣) والبداية والنهاية (٨/٣٢٧) وفي تهذيب ابن عساكر (٧/ ١) : إنه روى عن عمر وعثمان وعلي والعباس وابن مسعود وأبي ذر الغفاري .

(٢) تهذيب ابن عساكر (٧/ ١) وتاريخ الاسلام (٣/١٢٩)

(٣) اليعقوبي (٢/٢١٤)

(٤) تهذيب ابن عساكر (٧/١٩ — ٢٠)

(٥) البداية والنهاية (٨/٣٢٧) .

عُرف به[1] » . وقال : « جنبوا مجالسنا الطعام والنساء ، فاني لأبغض الرجل يكون وصافاً لفرجـه وبطنه ، وان المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشهيه[2] » وقال : « الزم الصحة يلزمك العمل[3] » وقال : « رب ملوم لا ذنب له[4] » وقال : « السؤدد مع السواد » يريد : من لم يَطِرْ له اسم على السـنة العامة بالسؤدد لم ينفعه ما طار له في الخاصة[5] .

و — بلاغته

كان فصيحاً مفوهاً[6] . خطب مرة فقال بعـد حمد الله والثناء عليه : « يا معشر الأزد وربيعة أنتم إخواننا في الدين وشركاؤنا في الصهر وأشقاؤنا في النسب وجيراننا في الدار ويدنا على العدو ، والله لأزد البصرة أحب الينا من تميم الـكوفة ، ولأزد الـكوفة أحب الينا من تميم الشام ، فان استشرف شنآن حسد صدوركم ففي أحلامنا وأموالنا سعة لنا ولـكم[7] » .

وقال : « ولا تزال العرب عرباً ما لبست العمائم ـ أي حافظت على زيـها ـ وتقلدت السيوف ـ يريد الامتناع من الضيم ـ ولم تعد الحلم ذلاً ولا التواهب فيما بينها ضيعة[8] »

لقد كان حاضر البديهة قوي الحجة منطقياً جاء الأحنف إلى قوم يتكلمون في دم ، فقال : « احكموا ! » فقالوا : نحكم بديِتين ! فقال : « ذلك لـكم » فلما سكتوا

---

(١) وفيات الأعيان (٢/١٨٧) والـكامل للمبرد (١/٣٧)

(٢) وفيات الأعيان (٢/١٨٨)

(٣) البيان والتبيين (٢/٩٩)

(٤) البخلاء للجاحظ (٢٤٧)

(٥) العقد الفريد (١/٢٩١)

(٦) تاريخ الاسلام للذهبي (٣/١٣٠)

(٧) العقد الفريد (٢/٣٨٨) ، وانظر الـكامل للمبرد (١/٩٧) والشانىء : المبغض

(٨) الـكامل للمبرد (١/١٢٠) .

قال : « أنا أعطيكم ما سألتم ، غير أني قائل لـكم شيئاً : إنّ الله عز وجل قضى بديّة واحدة ، وإن النبي ﷺ قضى بديّة واحدة ، وأنتم اليوم طالبون وأخشي أن تكونوا غداً مطلوبين ، فلا يرضى الناس منكم إلا عثل ما سننتم لأنفسكم ! » ، فقالوا : نردّها دية واحدة [1]

وأراد رجل أن ينتقص من قدر الأحنف عندما سمع عمر بن الخطاب يقول عن الأحنف : « هـــذا والله السيد ... هذا والله السيد » ، فقال ذلك الرجل : « يا أمير المؤمنين إنه ليس هناك ، وأمه باهلية » ، فقال عمر : « هو خير منك » فقال الأحنف:

أنا ابن الباهلية أرضعتني بثدى لا أجـــد ولا وخيم
أغضّ على القذى أجفان عيني الى شر السفيه الى الحليم [2]

وسمع الأحنف رجلا يقول : ما أبالي أمدحت أم ذممت » ، فقال له : « لقد استرحت من حيث تعب الـكرام [3] »

ز — دهاؤه

كان الأحنف من دهاة العرب قال الأحنف لعلي بن أبي طالب يبدي رأيه في أبي موسى الأشعرى ممثل علي في التحكيم : « يا أمير المؤمنين ! إن أبا موسى الأشعري رجل يماني وقومه مع معاوية ، فابعثني معه ، فوالله لا يحل لك عقدة إلا عقدت لك أشد منها ، فان قلت : إني لست من اصحاب رسول ﷺ ، فابعث ابن عباس وابعثني معه [4] »

ح — إيثاره

كان الأحنف يحب لغيره ما يحبه لنفسه ، بل كان يؤثر غيره على نفسه بالخير والمعروف

---

(١) وفيات الأعيان (٢/١٨٨)
(٢) أجد : عظم وخيم : ثقيل بين أنظر العقد الفريد (١/١٨٨)
(٣) وفيات الأعيان (٢/١٨٨)
(٤) الامامة والسياسة لابن قتيبة (١/١٣١)

ويقنع هو برضى نفسه الرضية المطمئنة إلى ما أصاب غيره بجهده من خير أوفد أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب وفداً من أهل البصرة وفيهم الأحنف ، فلما قدموا عليه ، تكلم كل رجل بخاصة نفسه ـ وكان الأحنف في آخر القوم ، فحمد الله واثنى عليه وقال : « يا أمير المؤمنين ! إنّ مفاتح الخير بيد الله ، وإن إخواننا من أهل الأمصار نزلوا منازل الأمم الخالية بين المياه العَذْبة والجنان الملتفّة ، وإنا نزلنا سبخة ملتفة لا يجفّ نداها ولا ينبت مرعاها : ناحيها من قِبل المشرق البحر الأجاج ومن قبل المغرب الفلاة ، فليس لنا زرعٌ ولا ضرْع ، تأتينا منافعنا وميرتنا في مثل مرى النعامة ، يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة لذلك فتربق [1] ولدها كما يربق العنز ، تخاف بادرة العدو وأكل السبع ، فألا ترفع خسيستنا وتجبر فاقتنا نكن كقوم هلكوا » فزاد عمر في عطائهم ، وأمر عامله على البصرة فأجرى لهم نهراً من دجلة على ثلاثة فراسخ الى شمالها [2]

وعرض عمر على الأحنف جائزة فقال : « يا أمير المؤمنين ! والله ما قطعنا الفلوات ودأبنا الروحات والعشيات للجوائز ، وما حاجتي إلا حاجة من خلفي » فزاده ذلك عند عمر خيراً [3]

وقدم وفد أهل العراق على معاوية بن أبي سفيان وفيهم الأحنف ، فخرج الآذن فقال : « إن أمير المؤمنين يَعْزِم عليكم ألا يتكلم أحد إلا لنفسه » فلما دخلوا اليه قال الأحنف : « لولا عزيمة [4] أمير المؤمنين لاخبرته أن دافّة دفّت [5] ونازلة نزلت ونائبة

---

(١) ربقه : جعل رأسه في الربقة ، وهو حبل تشد به البهم

(٢) تهذيب ابن عساكر (٧/١١) والعقد الفريد (١/١٩١) مع اختلاف في اللفظ ، وانظر ابن الأثير (٢/٢١٠)

(٣) تهذيب ابن عساكر (٧/١٢)

(٤) عزيمته : أمره بعدم التكلم لغائب

(٥) دافة دفت : جائحة مستأصلة ظهرت ونجمت

نابت ونابتة نبات - كلهم به حاجـة إلى معروف أمير المؤمنين وبرّه » ، فقال معاوية : « حسبك يا أبا بحر ! فقد كفيت الغائب والشاهد [1] »

وكان يشعر بشعور (المجموع) ولا يقتصر على شعوره (الفردي) . قيل له : كيف سوّدك قومك وأنت أرذلهم خلقة ؟ ! فقال : « لو عاب قومي الماء ما شربته [2]

ط — أمانته

كان الأحنف أميناً غاية الأمانة لما سار إلى (خُوارِزم) استعمل على (بلخ) ابن عمه أُسَيْد بن المتشمس ليأخذ من أهلها ما صالحوه عليه وانصرف الأحنف إلى (بلخ) وقد قبض ابن عمه ما صالحوه عليه مع هدايا من آنية الذهب والفضة ودنانير ودراهم ومتاع وثياب ، فقال ابن عمه لهم : « هذا ما صالحناكم عليه ؟ ! » فقالوا : لا ولكن هذا شيء نصنعه في هذا اليوم عن ولينا نستعطف به » ، قال : « وما هذا اليوم ؟ » فقالوا : المهرجان [3] ، فقال : « ما أدرى ما هذا ، وإني لأكره أن أردّه ، ولعله من حقي ، ولكن أقبضه وأعزله حتى أنظر » ، فقبضه وقدم الأحنف فأخبره فسألهم عنه ، فقالوا مثل ما قالوا لابن عمه ، فقال : « آتى به الأمير » ، فحمله إلى عبد الله بن عامر فأخبره عنه فقال : « اقبضه يا أبا بحر فهو لك ، فقال الأحنف : « لا حاجة لي فيه [4] »

لقد كان يتحرج حتى من الهدايا ، وكان يكتفي بعطائه وبسهمه من الغنائم أسوة بأي رجل من رجال المسلمين ، وقد جاءه رجل يوماً يسأله ، فقال : « إنما لي سهم وما فيه فضل عني ، وإنما لفرسي سهمان وما فيهما فضل عن فرسي [5] »

---

(١) البيان والتبيين (٢/٩٣)

(٢) البداية والنهاية (٨/٣٢٧) وتهذيب ابن عساكر (٧/١٠)

(٣) المهرجان : أحد أعياد الفرس

(٤) الطبري (٣/٣٥٨) وابن الأثير (٣/٤٩)

(٥) طبقات ابن سعد (٧/٩٦)

لقد كان كالموظف النزيه يضطر الى الاقتصاد ليعيش عيش الكفاف ، حتى إنه جبر يد عنز [١] ، ومع ذلك كان جواداً [٢] حسب إمكانياته ، فلم يبق له جوده ديناراً ولا داراً

ي — أناته

كان الأحنف شديد الأناة ، لا يقدم على عمل إلا بعد أن يحسب له الف حساب قيل له : يا أبا بحر ! إن فيك أناةً شديدةً ، فقال : « قد عرفت من نفسي عجلة في أمور ثلاثة : في صلاتي إذا حضرت حتى أصليها ، وجنازتي إذا حضرت حتى أغيّبها في حفرها ، وابنتي إذا خطبها كفيئها حتى أزوجه [٣]

ك — ورعه

كان الأحنف مؤمناً ورعاً قوي الايمان ، فقد سارع إلى اعتناق الأسلام أول ما بلغته الدعوة الاسلامية ، وأسلم قومه باشارته [٤] ،وبسط حمايته القوية الأمينة على الدعاة الأولين [٥] ، وثبت على عقيدته عندما ارتد أكثر قومه وأكثر العرب بعد وفاة النبي ﷺ [٦] ، وجاهد للدفاع عنها ونشرها حق الجهاد وأبلى في ذلك أعظم البلاء قال الحسن البصري عنه : « ما رأيت شريف قوم أفضل منه [٧] » قال الأحنف : « حبسني عمر بن الخطاب عنده بالمدينة سنة ، يأتيني كل يوم وليلة ، فلا يأتيه عني إلا ما يحب [٨] » ، فكتب عمر

---

(١) البخلاء للجاحظ ص (٢٥)

(٢) البداية والنهاية (٨/٣٢٧)

(٣) طبقات ابن سعد (٧/٩٦)

(٤) شذرات الذهب (١/٧٨)

(٥) ذكر أخبار أصبهان (١/٢٢٤)

(٦) المعارف ص (٤٢٤)

(٧) البداية والنهاية (٨/٣٢٧) وشذرات الذهب (١/٧٨) وتاريخ الاسلام (٣/١٣١) وطبقات ابن سعد (٧/٩٥)

(٨) ذكر أخبار أصبهان (١/٢٢٤)

بعد نجاح الأحنف في الاختبار العمري ـ وما أصعبه وأدقه من اختبار ـ معه كتاباً إلى الأمير على البصرة يقول : « الأحنف سيد أهل البصرة [1] » ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن يشاور الأحنف ويسمع منه [2] ، وقال عنه : « هو مؤمن عليم اللسان [3] » وقال له عمر بعد أن حبسه حولا عنده : « يا أحنف ! قد بلوتك وخبرتك ، فلم أر إلا خيراً ، ورأيت علانيتك حسنة ، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك [4] » وقال له عمر : « ويحك يا احنف ! لما رأيتك ازدريتك ، فلما نطقتَ قلتُ : لعله منافق عليم اللسان ، فلما اختبرتك حمدتك [5] »

لقد كان رجلاً صالحاً كثير الصلاة بالليل ، وكان يسرج المصباح ويصلي ويبكي حتى الصباح ، وكان يضع إصبعه في المصباح ويقول : « حس يا أحنف ! ما حملك على كذا ما حملك على كذا ؟ ! » ، ويقول لنفسه : « إذا لم تصبر على المصباح ، فكيف تصبر على النار الكبرى [6] » وقيل له : إنك تكثر الصوم وإن ذاك يرق المعدة ، فقال : « إني أعده لسفر طويل [7] »

واستُعمِل الأحنف على (خراسان) ، فلما أتى فارس أصابته جنابة في ليلة باردة ، فلم يوقظ أحداً من غلمانه ولا جنده وانطلق يطلب الماء ، فأتى على شوك وشجر حتى سالت قدماه دماً ، فوجد الثلج ، فكسره واغتسل [8]

---

(١) أسد الغابة (١/٥٥)

(٢) تهذيب ابن عساكر (٧/١٢)

(٣) البداية والنهاية (٨/٣٢٧)

(٤) طبقات ابن سعد (٧/٩٤) .

(٥) تهذيب ابن عساكر (٧/١١)

(٦) البداية والنهاية (٨/٣٢٧) وطبقات ابن سعد (٧/٩٥)

(٧) تهذيب ابن عساكر (٧/١٦) وطبقات ابن سعد (٧/٩٦)

(٨) طبقات ابن سعد (٧/٩٤) وتهذيب ابن عساكر (٧/١٦) وتاريخ الاسلام للذهبي (٣/١٣٠)

وكان قلّ ما خلا إلا دعا بالمصحف، وكان النظر في المصاحف خلقاً من الأولين [1].

وكان من دعائه: « اللهم إن تغفر لي فأنت أهل ذاك، وإن تعذبني فأنا أهل ذاك [2] »

ومن دعائه: « اللهم هب لي يقيناً تهوّن به علي مصيبات الدنيا [3] ».

ومرّت به جنازة فقال: « رحم الله من أجهد نفسه لمثل هـذا اليوم [4] » وكان يقول: « عجبت لمن يجري في مجرى البول مرتين كيف يتكبّر! ؟ [5] »

وجاءه كتاب من عند الملك يدعوه الى نفسه فقال: « يدعوني ابن الزرقاء الى ولاية أهل الشام! والله لوددت أن بيني وبينهم جبلاً من نار: من أتاني منهم احترق فيه ومن أتاهم منا احترق فيـه » وكان يكره أن يصلي في المقصورة وأن يتخطى رقاب الناس قبل خروج الامام يوم الجمعة [6]

وبلغ رجلان الأحنفَ أن النبي ﷺ دعا له، فسجد [7] شكراً لله، وكان نفش خاتمه: نعبد الله [8]

ل — شخصيته

تلك هي المزايا الشخصية التي استحوذ بها الأحنف على ثقة الناس به وحبهم وتقديرهم له، هذه المزايا التي تجعل من يتحلى بها شخصية قوية نافذة يندر وجودها بين الناس في كل زمان ومكان، وقلما يجود بها الدهر إلا نادراً

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/٩٥)

(٢) طبقات ابن سعد (٧/٩٦) والبداية والنهاية (٨/٣٢٧)

(٣) تهذيب ابن عساكر (٧/١٦)

(٤) تهذيب ابن عساكر (٧/١٦)

(٥) ذكر أخبار أصبهان (٣/١٣٢)

(٦) طبقات ابن سعد (٧/٩٦ — ٩٧)

(٧) الاصابة (١/١٠٣)

(٨) الطبري (٣/٣٥٦)

كان صادق القول يرى الكذب خصلة لا تليق بالكريم قدم على عمر بن الخطاب وفد جند البصرة وفيهم الأحنف، وكان الفرس قد انتقضوا على المسلمين، فتحدّث عمر إلى وفد البصرة ثم وجه الكلام الى الأحنف يقول: «إنك عندي مصدّق وقد رأيتك رجلاً، فأخبرني: أأن ظلمت الذمة، أَلمظلمة نفروا أم لغير ذلك؟»، فأجابه الأحنف: «لا، بل لغير مظلمة والناس على ما تحب ...» فقال عمر: «فنعم إذا انصرفوا الى رحالكم [1]»

لقد كان حريصاً على تكامل شخصيته يبتعد بها عما يسيء اليها من قريب أو بعيد، فكان يقول: «ليمنعني من كثير من الكلام مخافة الجواب [2]»

كان قوي الشخصية حقاً لا يخاف أحداً ما كان على الحق ذكر عمر بن الخطاب بني تميم فذمّهم، فقام الأحنف وقال: «يا أمير المؤمنين! ائذن لي فأتكلم»، قال: «تكلم»، فقال الأحنف: «إنك ذكرت بني تميم فعممتهم بالذم، وإنما هم من الناس، فمنهم الصالح والطالح»، فقال عمر: «صدقت»، فقام رجل من تميم واستأذن عمر بالكلام، فقال له: «اجلس فقد كفاكم سيدكم الأحنف [3]»

وروى أن معاوية لما نصب ولده (يزيد) لولاية العهد، أقعده في قبة حمراء، فجعل الناس يسلّمون على معاوية ثم يميلون الى يزيد، حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال: «يا أمير المؤمنين! إعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعها»، والأحنف جالس، فقال له معاوية: «ما بالك لا تقول يا أبا بحر؟!»، فقال: «أخاف الله إن كذبت، وأخافكم إن صدقت»، فقال معاوية: «جزاك الله عن الطاعة خيراً»، وأمر له بألوف، فلما خرج لقيه ذلك الرجل بالباب، فذمّ معاوية وابنه، فقال له

(١) الطبري (٣/١٧٥)

(٢) طبقات ابن سعد (٧/٩٥)

(٣) طبقات ابن سعد (٧/٩٤).

الأحنف : « أمسك عليك ، فان ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجيهاً [1] »

وحضر الأحنف مجلس معاوية ، وكان عنده بعض وجوه الناس ، فدخل رجل من أهل الشام وقام خطيباً ، وكان آخر كلامه أن لعن علي بن أبي طالب ؛ فأطرق الناس وتكلم الأحنف ، فقال : « يا أمير المؤمنين ! إن هـذا القائل لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم ، فاتق الله ودع عنك علياً ، فقد لقي ربه وأفرد في قبره ، وكان والله الميمونة نقيبته العظيمة مصيبته » ، فقال معاوية : « يا أحنف ! لقد أغضيت العين على القذى ، فأيم الله لتصعدن المنبر ولتلعننه طوعاً أو كرهاً » ، فقال الأحنف : « أو تعفيني فهو خير لك » فألحّ عليه معاوية ، فقال الأحنف : « أما والله لأنصفنك في القول ! » فقال معاوية : « وما أنت قائل ؟» قال :«أحمد الله بما هو أهله ، وأصلي على رسوله وأقول : أيها الناس إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن علياً ألا وأن علياً ومعاوية اختلفا ، فاقتتلا ، وادّعى كل منهما أنه مبغي عليه ! فاذا دعوت فأمّنوا ... ثم أقول : اللهم ألعن أنت وملائكتك ورسلك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية اللهم العنهم لعناً كثيراً ! ! .. أمّنوا رحمكم الله ... يا معاوية أقوله ولو كان فيه ذهاب روحي » فقال معاوية : « إذن نعفيك من ذلك [2] »

وكان زياد بن أبيه في مدة ولايته العراقين كثير الرعاية للأحنف ، فلما مات زياد وتولى مكانه ولده عبيد الله بن زياد تغيرت منزلة الأحنف عند الأمير الجديد ، وصار يقدّم عليه من لا يساويه ولا يقاربه

وجمع عبيد الله أعيان العراق وفيهم الأحنف وتوجه بهم الى الشام للسلام على معاوية ، فلما وصلوا دخل عبيد الله على معاوية وأعلمه بوصول رؤساء العراق ، فقال : « أدخلهم

(١) وفيات الأعيان (٢/١٨٧) ، وانظر شذرات الذهب (١/٧٨) وطبقات ابن سعد (٧/٩٥) والكامل للمبرد (١/٣٨)

(٢) تاريخ أبي الفدا (١/١٦٥ — ١٦٦) .

إليّ أولاً فأولاً على قدر مراتبهم عنـــدك » ، فخرج إليهم وأدخلهم على الترتيب كما قال معاوية ، فكان آخر مَنْ دخل الأحنف !

ورآه معاوية ، وكان يعرف منزلته ويبالغ في إكرامه لتقدمه وسيادته ، فقال له : « إليّ يا أبا بحر » ، فتقدم اليه فأجلسه معه على مرتبته وأقبل عليه يسأله عن حاله ويحادثه وأعرض عن بقية الجماعة

وأخـذ أهل العراق في شكر عبيد الله والثناء عليـه والأحنف ساكت ، فقال له معاويـة : « لِمَ لا تتكلم يا أبا بحر ؟ ! » ، فقال : « إن تكلمت خالفتهم » ، فقال لهم معاوية : « اشهدوا عليّ أني قد عزلت عبيد الله عنكم ، فقوموا وأنظروا في أمير أوليه عليكم وترجعون إليّ بعد ثلاثة أيام »

وخرجوا من عند معاوية ، وكان فيهم جماعة يطلبون الامارة لأنفسهم وفيهم من عيّن الأمارة لغيره ، وسعوا في السر مع خواص معاوية أن يفعل لهم ذلك !

واجتمعوا بعد انقضاء ثلاثة الأيام ـ كما قال معاوية ، والأحنف معهم ، فدخلوا عليه فأجلسهم على ترتيبهم في المجلس الأول ، وأخذ الأحنف إليه كما فعل أولاً وحادثه ساعة ، ثم قال : « ما فعلتم فيما انفصلتم عليه ؟ » فجعل كل واحـد يذكر شخصاً ! وطال حديثهم في ذلك ، وأفضى إلى منازعة وجـــدال ، والأحنف ساكت ـ ولم يكن في الأيام الثلاثة تحدث مع أحد في شيء ، فقال له معاوية : « لم لا تتكلم يا أبا بحر ؟ » ، فقال الأحنف : « إن ولّيت أحداً من أهل بيتك لم تجد مَن يَعْدِل عبيد الله ولا يسدّ مسدّه ، وإن ولّيت من غيرهم فذلك الى رأيك »

ولم يكن في الحاضرين الذين بالغوا في المجلس الأول في الثناء على عبيد الله مَن ذكره في هذا المجلس ولا سأل عَوْدَه إليهم ، فلما سمع معاوية مقالة الأحنف قال للجماعة : « أشهدوا عليّ أني أعدت عبيد الله إلى ولايته » ، فكل منهم ندم على عدم ترشيح عبيد الله للامارة ثانية

، وعلم معاوية أن شكرهم لعبيد الله لم يكن لرغبتهم فيه ، بل كما جرت العادة في حق المتولي ؛ فلما فصل الجماعة من مجلس معاوية، خلا بعبيد الله وقال له : « كيف ضيّعت مثل هذا الرجل؟ - يعني الأحنف - فانه عزلك وأعادك إلى الولاية وهو ساكت ، وهؤلاء الذين قدّمهم عليه واعتمدت عليهم لم ينفعوك ولا عرّجوا عليك لما فوّضت الأمر اليهم ، فمثل الأحنف من يتخذه الإنسان عوناً وذخراً » ؛ فلما عادوا إلى العراق ، أقبل عبيد الله على الأحنف وجعله بطانته وصاحب سرّه

تلك هي شخصية الأحنف : يعزل أمير العراقين ويعيده إلى منصبه وهو ساكت !!

القائد

أول ما يلاحظ في الأحنف مزاياه الأنسانية الرفيعة التي جعلته موضع ثقة رؤسائه وحبهم وموضع ثقة مرؤوسيه وحبهم على حد سواء

وكان لذكائه اللماح وسعة إدراكه وسرعة بديهته ومنطقه الرائع السليم أثر عظيم على قابلية الأحنف في إعداد الخطط العسكرية الصحيحة الناجحة وإعطاء القرارات السريعة الصائبة ، كما كان لشجاعته الشخصية وإقدامه أثر كبير على وضع تلك الخطط والقرارات في حيّز التنفيذ

لقد كان يبذل قصارى جهده في إعداد خططه العسكرية وإعطاء قراراته ، فكان يستشير رجاله ويأخذ بالرأي السديد ، ولا يقتصر على استشارة ذوي الرأي ، بل يتجوّل سراً في الليل بين عامة رجاله يتسمّع أحاديثهم ، فاذا وجد رأياً سديداً يبدونه فيما بينهم سارع الى العمل به ، لا يهمه أن يأخذ الحكمة من أي وعاء !

وإذا كان هناك ما يمتاز به الأحنف في القيادة ، فأنه كان يقاتل عدوه بسيفه وبعقله معاً ، فقد كان على جانب عظيم من الشجاعة والاقدام ، حتى أنه كان يستأثر بالخطر دون رجاله ويؤثرهم بالراحة والأمن ؛ كما كان على جانب عظيم من الدهاء فيوفر بدهائه على قواته

كثيراً من الجهود والمشقات

كما أنه كان يمتاز بقابليته التعبوية الفذة ، وهذا يفسر لنا كيف استطاع قهر أعدائه الكثيرين بقواته القليلة ، كما كان يمتاز في نفس الوقت بقابليته السوقية (الاستراتيجية) ، ولعل آراءه الصائبة التي أبداها لعمر بن الخطاب في انسياح المسلمين في أرض فارس دليل ملموس على قابليته السوقية

كما أنه كان يمتاز بصراحته النادرة مع قواته ، فقد كان يحذّرهم العدو ويذكر لهم قوته ويذكرهم بضعفهم بالنسبة لقوة عدوهم ، ولكنه يعود ليذكرهم بأن الفئة القليلة الصابرة تغلب الفئة الكثيرة التي لا صبر لها على القتال ، وصراحته هذه قلّ أن يتحلى بها قائد في الحرب ، خاصة قواد الحروب القديمة ، ذلك لأن مثل هذه الصراحة قد تؤثر على المعنويات وتؤدي إلى انهيارها

وكان يمتاز بقدرته الفذة على انتخاب مواقع القتال المناسبة لقواته ـ تلك المواقع التي تساعد قواته القليلة على دحر قوات عدوه الكثيرة ، فكان يحاول أن يجد لرجاله ساحة قتال تحميهم من الخلف وتحمي أجنحتهم حتى يقاتلوا في اتجاه واحد مطمئنين الى حماية مؤخرتهم وأجنحتهم

تلك هي مزاياه الشخصية التي أمتازت بها قيادة الأحنف على غيره من القادة ، فلا عجب أن يفتح خراسان — وهي منطقة واسعة نائية منيعة — بقوات قليلة لايكاد العقل يصدق اليوم أنها استطاعت فتح خراسان في أيام عمر واستطاعت استعادة فتحها في أيام عثمان ، وكان لقيادة الأحنف المتزنة الفضل الأكبر في فتح خراسان مرتين

وعند تطبيق أعمال الأحنف العسكرية على مباديء الحرب ، نجد أنه كان (يختار مقصده ويديمه) فهو دائماً يعرف ما يريد ويسعى جاهداً للحصول عليه من أقصر الطرق وبأقل خسائر مادية ومعنوية

كما كان قائداً (تعرضياً) لم يلجأ الى (الدفاع) إلا لكي يعدّ العدة ليستأنف (التعرض) بقوة وعزم وكان يؤمن (بالمباغتة) ويطبقها خاصة بالمكان كما فعل في انتخابه مواضع دفاعية ممتازة سهلت عليه القضاء على هجمات العدو كما كان لايقدم على تنفيذ خطة من خططه العسكرية قبل أن ينجز (تحشيد قوته) من الناحيتين المادية والمعنوية وفي المكان والزمان الجازمين

وكان يحرص غاية الحرص على (الاقتصاد بالجهود) ، فلا يستخدم غير القوة المناسبة للواجب المطلوب ، وهذا أدّى الى عدم تكبد قواته خسائر لامبرر لها

وكان يهتم كثيراً بمتطلبات (الأمن) ، فيوفر الحماية لقواته ولمواصلاتها لوقايتها من المباغتة ، فلم يستطع عدوّه أن يباغت قوات العرب المسلمين أبداً ، وقد باغت العرب المسلمون عدوهم مرات !

وكان (التعاون) هدف الأحنف في كل معاركه ، ذلك لأن هدف جميع قواته سواء كانت من الكوفة أم من البصرة واحد ، هو القضاء على مقاومة عدوهم المشترك ، ونشر الاسلام في بلاده

وكان (يديم معنويات) رجاله ويسهر على تأمين (الأمور الادارية) لهم ، كل ذلك جعل الفئة القليلة التي كان يقودها تقهر الفئة الكثيرة بأذن الله

لقد كان الأحنف قائداً ممتازاً

الأحنف في التاريخ

يذكر الناس للأحنف حلمه الذي يضرب به المثل ، ولكن التاريخ يذكر للأحنف الى جانب حلمه مزاياه الانسانية العالية الأخرى — تلك المزايا التي لا تقل أهمية وروعة عن حلمه ، كما يذكر له أنه فاتح خراسان وموطد أركان الاسلام في أرجائها

لقد كان الأحنف إماماً في الحلم ، ولكنه كان — كما يذكر له التاريخ — إماماً في

الفقه ، إماماً في البلاغة ، إماماً في الدهاء ، إماماً في الأمانة ، إماماً في قوة شخصيته ، إماماً في رجاحة عقله ، إماماً في شدة ورعه ، إماماً في خلقه الرفيع ، وبالاضافة إلى كل ذلك كان إماماً في عبقرية قيادته

لقد كان رجلاً في أمة ، وأمة في رجل ... إنه سيد أهل المشرق المسمى بغير اسمه كما كان يقول عنه عمر بن الخطاب

رضي الله عن القوي الأمين ، الحليم الورع ، الفقيه الألمعي ، الاداري الداهية ، القائد الفاتح ، الأحنف بن قيس التميمي

الأعظمية : محمود شيت خطاب

اللواء الركن

المصادر

١ — سنن الامام النسائي ـ للامام النسائي ـ المطبعة الميمنية بمصر في ١٣١٢ هـ
٢ — طبقات ابن سعد ـ ابن سعد ـ دار بيروت ودارصادر في بيروت ـ ١٣٧٦هـ
٣ — أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ عز الدين أبوالحسن علي بن محمود الجزري المعروف بابن الأثير ـ المطبعة الاسلامية في طهران ـ ١٣٧٧ هـ .
٤ — الاصابة في تمييز الصحابة ـ أحمد بن علي الكناني العسقلاني ـ مطبعة دار السعادة بمصر ـ ١٣٢٣ هـ
٥ — الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ـ مطبعة نهضة مصر
٦ — المعارف ـ ابن قتيبة تحقيق ثروت عكاشة ـ مطبعة دار الكتب بمصر ١٩٦٠ م
٧ — وفيات الأعيان ـ ابن خلكان تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة النهضة المصرية ـ ١٣٦٧ هـ
٨ — تهذيب ابن عساكر ـ ابن عساكر ـ المطبعة العربية بدمشق ـ ١٣٥١ هـ .
٩ — الأعلام ـ خير الدين الزركلي ـ الطبعة الثانية
١٠ — الطبري ـ تاريخ الأمم والملوك ـ محمد بن جرير الطبري ـ مطبعة الاستقامة بمصر ١٣٥٧ هـ
١١ — ابن الأثير ـ تاريخ الكامل ـ ابن الأثير ـ مطبعة دار التحرير بمصر ـ ١٣٠٣ هـ .

١٢ — البلاذري ـ فتوح البلدان ـ أبو الحسن البلاذري ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ١٩٥٩م.
١٣ — البداية والنهاية ـ أبو الفدا ـ مطبعة السعادة بمصر
١٤ — تاريخ أبي الفدا ـ المختصر من أخبار البشر ـ الطبعة الأولى ـ عماد الدين اسماعيل أبو الفدا ـ المطبعة الحسينية بمصر ـ ١٣٢٥ هـ ـ الطبعة الأولى
١٥ — تاريخ الاسلام ـ شمس الدين الذهبي ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ١٢٦٨ هـ
١٦ — تاريخ عمر بن الخطاب ـ ابن الجوزي ـ مطبعة محمد علي صبيح
١٧ — جمل فتوح الاسلام ـ ملحق بجوامع السيرة ـ ابن حزم ـ مطبعة دار المعارف بمصر
١٨ — الامامة والسياسة ـ ابن قتيبة الدينوري ـ مطبعة البابي الحلبي بمصر ـ ١٣٧٧ هـ ـ الطبعة الثانية
١٩ — شذرات الذهب ـ عبد الحي بن العماد الحنبلي ـ مكتبة القدسي بمصر ـ ١٣٥٠ هـ
٢٠ — تاريخ ابن خلدون ـ ابن خلدون ـ المطبعة الكبرى بمصر ـ ١٢٨٤ هـ
٢١ — ذكر أخبار أصبهان ـ أحمد عبد الله الأصبهاني ـ مطبعة ليدن ـ ١٩٣١ هـ
٢٢ — اليعقوبي ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب ـ مطبعة الغري بالنجف ـ ١٣٥٨ هـ
٢٣ — معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ مطبعة دار السعادة بمصر ـ ١٣٢٣ ـ هـ ـ الطبعة الأولى.
٢٤ — آثار البلاد وأخبار العباد ـ زكريا بن محمد بن محمود القزويني ـ مطبعة دار صادر ببيروت ـ ١٣٨٠ هـ
٢٥ — المسالك والممالك ـ أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الاصطخري ـ مطابع دار القلم بالقاهرة ـ ١٣٨١ هـ
٢٦ — الف باء ـ يوسف بن محمد البلوى ـ المطبعة الوهبية بمصر ـ ١٢٨٧ هـ
٢٧ — جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم الأندلسي ـ دار المعارف بمصر

٢٨ — العقد الفريد ـ ابن عبد ربه الأندلسي ـ المطبعة الأزهرية بمصر ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٤٦ هـ .

٢٩ — عيون الأخبار ـ ابن قتيبة ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ ١٣٤٣ هـ

٣٠ — البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ تحقيق حسن السندوبي ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ـ الطبعة الرابعة ـ ١٣٧٥

٣١ — الكامل ـ المبرد ـ مطبعة محمد علي صبيح بمصر ـ ١٣٤٧ هـ

٣٢ — البخلاء ـ الجاحظ ـ دار اليقظة العربية للتأليف والنشر والترجمة ـ ١٣٧٥ هـ

٣٣ — البدء والتاريخ ـ البلخي ـ مطبعة باريز ـ ١٩١٦ م

مجلة المجمع العلمي العراقي

المجلد الحادي عشر

(١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م)

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م

« فهرس المجلد الحادي عشر »

من مجلة المجمع العلمي العراقي

المقالات

باب الكتب

آراء وانباء